

بحوث في فقه الرجال

[42] ولذا نجد بعض الروايات تشير إلى هذا المعنى كقوله (عليه السلام) (أنتم

الفقهاء إذا عرفتم معاني كلامنا) فالفقيه آنذاك لا يحتاج إلى إعمال عناية بأكثر من التدبير في كلامهم (عليهم السلام) ومعرفة الحكم والمراد منه. بينما يختلف الحال تماما في عصرنا إذ أن أهم الكتب الروائية الناقلة لأحكام الشريعة المطهرة عبارة عن الكتب الأربعة للمحمدين الثلاثة. وهذه الكتب قد وردت بأسانيد منها البعيدة الواسطة ومنها القريب وما دامت غير قطعية الصدور أو صحيحة - كما هو المختار - توقف الاستنباط لا محالة على إبراز بحوث وقواعد لتشخيص ما يعمل به من غيره، ولو لا ذلك لتوقفت سفينة الأحكام والعمل بها إلا من خلال دعاوى آخر لا تنفك محتاجة إلى هذه البحوث من قبيل الدعوى القائلة بإنسداد باب العلم والعلمي بالنسبة للرجال. فإن أصحاب هذه الدعوى هم أيضا بحاجة إلى تشخيص المظنون من المشكوك والمحمول الصحة ليعمل به من باب قاعدة الضرورات تتقدر بقدرها، وهذا لا يتم إلا بملاحظة الأحوال المتعلقة بالرجال الواقعيين في سند الأدلة. ومن هنا تكون أهمية البحث الرجالي ذات قيمة عليا معتد بها ولذا جاز القدح في الراوي بإبراز الوضاع والكذاب وان استلزم هتك الستور أو إشاعة الفاحشة إلا ان ذلك لاجل صيانة الشريعة المطهرة من إدخال ما ليس منها فيها ونفيا للكذب والخطأ عنها (1). ولنعم ما ذكره العلامة في الخلاصة من ان العلم بحال الرواة من أساس الأحكام الشرعية وعليه تبتني القواعد السمعية يجب على كل مجتهد معرفته _____ (1) البداية في علم الدراية _____ للشهيد الثاني - ص 62. (*)